

كان الدكتور سهيل ادريس قد ارسل الى مجلة « المسرح » القاهرية نقدا لمقال كتبه سكرتيرها الاستاذ فاروق عبدالقادر حول مسرحية « زهرة من دم » . ولكن ولذلك تنشر « الآداب » النص الكامل لرد رئيس تحريرها . مع احتجاجها على تصرف الزميلة القاهرية . « الآداب »

لا « يريد » ان يسمع ، لا « يريد » ان يصدق ان الارض العربية في فلسطين تتفجر بالبطولات ، نقول انه امر طبيعي من كاتب هذا شأنه ان يرفض تصوير هذا الانتصار على الورق (على المسرح) لانه بطبعه انهزامي ، متشكك ومشكك ، ولانه يعتقد ويقول بصراحة: « لا فضائل لشعب يعيش في أرض محتلة » . ان علينا ان نقف لحظة امام هذه الفكرة الخاطئة الخطرة : فهي تدل على ان الكاتب مجرد كل شعب محتل من كل فضيلة ، مجرد ان الاحتلال واقع عليه ، ويحكم عليه بالذل والخضوع والهوان ، وبذلك يصغ جميع حركات المقاومة في العالم ويلقي كل فضائلها . .

ولننظر الى هذه السطحية وتلك الضحالة في الفكر اللتين تدعوان الكاتب الى القول ، تعليقا على تصوير مخاوف الاسرائيليين من المقاومة : « انمحت الهزيمة ، انهار العدو تحت وطأة ضربات المقاومة » . . . اليس طبيعيا ، اولاً ، ان يحس محتل ما بالقلق ، بل حتى بالخوف ، من تصاعد اعمال المقاومة ؟ وهل يعني الاحساس بالقلق والخوف والانهيار بالضرورة ، ثانياً ؟ ولنفرض ، ثالثاً ، انه انهار ، أفلم يسبق لمحتل ان انهار تحت وطأة اعمال المقاومة ؟ هل يستحيل استحالة نهائية ان تنهار اسرائيل اذا ظل الفدائيون العرب يستشهدون لتحرير ارضهم ؟ .

ان « الناقد » يخشى « التهويل والتهوين » فيطلب الفاء الموضوع كله ، مع ان الواقع الحقيقي ، واقع المقاومة والفداء . هو اعظم من هذا الذي يزعم انه تهويل وتهوين . . . والحق ان هذا الموقف مرتبط ارتباطاً وثيقاً « برؤية » عامة لدى الكاتب حول رسالة الادب ومهمته . وهذه الرؤية تتضح في قوله :

« نريد ان نحمي المقاومة من شر كلماتنا . فكم قلنا عن الوحدة العربية وكم زدنا (. . .) ولكن هذا كله لم يجندا شيئاً . . لان الفكر سبق العمل وقد مكانه (. . .) العمل يسبق الفكر ، الفعل يأتي قبل الكلمة ، وحين نعمل يمكن للافكار المقلوبة والمقلوبة ان تقف على قدميها وان تستعيد صدقها . . »

هذا الكلام يشي بمفهوم متخلف يدل على ان الكاتب قاصر عن ادراك حقيقة رسالة الفكر والادب . هو يعتقد بان الفكر يأتي بعد العمل ، اي انه يطلب من المفكر ان ينتظر وقوع الحدث ثم ينكلم ، وهكذا يكون الفكر تابعاً للفعل . وواضح ان هذا انكار صريح لتاريخ الفكر واسهامه . في كثير من الاحيان ، في خلق « العمل » . ومن ناقل القول التأكيد بان العلاقة بين النظرية والتطبيق علاقة تبادل ، لا علاقة تبعية ، ان احدهما يقتني من الآخر ابداً ، فيؤثر فيه بقدر ما يتأثر به ، وأقل ما توصف به رؤية « الناقد » انها تلقي اجمل ما في رسالة الادب والفكر : مهمة الارهاص والتنبيه والتمهيد .

وبعد ، فانا افهم ان يكون مقال الكاتب معادياً ، فكراً ، للمسرحية ، لان فهمه للفداء مناقض تماما لفهم المؤلف : فهو يشك فيه ويشكك بجداوه ، ويعتبر تصويره ، حتى ولو قصر هذا التصوير عن الواقع

في عدد مايو الماضي من مجلة « المسرح » تناول الاستاذ فاروق عبدالقادر مسرحيتي « زهرة من دم » بما يعتبره « نقداً » لها ، ويؤسفني ان افول انه ليس من « النقد » في شيء .

فالواقع ان ما كتبه مصاب بعدد من العاهات لا يمكن معها لاي « نقد » الا ان يسقط ميتا لا حراك به . ان فيه قدراً كبيراً من الذاتية الانفعالية والنيات المبينة ، ومن عدم الفهم والسطحية ، ومع ذلك فهو كثير الفرور والادعاء .

ويكفي ان نستعرض بعض « نماذج » من افوال الكاتب وآرائه حتى تثبت هذه الحقائق .

واحب ان ابدأ هذا التحليل انطلاقاً من خانة مقال « الناقد » هذه الخاتمة التي تحمل رؤية للعمل الفدائي هي على جانب كبير من الخطر والخطورة . فالكاتب يرى ان اخطر ما تقوله المسرحية عن المقاومة هو هذه المبالغة « الاسطورية » في تقدير قوتها وما احدثته « ثم يورد مقطعا من الحوار الذي يدور بين الضابط الاسرائيلي والمجندة التي تتحدث عن قتابل رجال المقاومة العرب . وعن الروع الذي يزرعونه في الاحياء الاسرائيلية وعن زوال الفرحة من عيون سكان اسرائيل الخ . . . »

ويعلق الكاتب بعد ذلك بقوله : « عظيم جداً اذن ، انمحت الهزيمة ونسيت كانها لم تكن . انهار العدو تحت وطأة ضربات المقاومة ، وتدللت عنافيد النصر فلم يعد باقيا الا ان نمد ايدينا فنقطفها » . هذا الكلام الساخر يعني بما لا يحتمل الشك ان الكاتب لا يصدق ما ترويه الأنباء ، حتى من مصادر العدو ، عن اعمال المقاومة العربية وعن الذعر الذي تحدثه بين الاسرائيليين : وهو بالتالي لا يصدق ان رجال المقاومة العرب يقومون باعمال عظيمة وبمآثر بطولية كثيرة . وهذا يعني ، في نهاية المطاف ، انه يشكك بجداوى المقاومة واهميتها . ولماذا ترانا نحاول ان نستنتج هذا من كلامه استنتاجاً ؟ ألم يقل حرفياً بعد ذلك : « اننا حين نرفض المبالغة في تقدير دور منظمات المقاومة فاننا نرفض خداع الجماهير » الخ . . . واذا سألناه عن هذه المبالغة اين هي في المسرحية ، فهل يستطيع الجواب ؟ هل يستطيع ان ينكر ان الاحداث التي جرت في المسرحية تصورياً لاعمال الفدائيين هي دون الحقيقة بمراحل ، وان ما يقوم به الابطال العرب الآن هو اعظم من كل الذي صورته المسرحية ؟ اليس هذا دليلاً واضحاً على الروح الانهزامية والشك والتشكيك في المقاومة العربية ؟ ان الصحف الاجنبية ، ولا نقول العربية ، تنشر كل يوم تحقيقات وريبورتاجات عن الفدائيين وانباء بطولاتهم وتضحياتهم ، فاذا جاء كاتب عربي يصور بعض هذه الاحداث ، وليست هي اخطرها ، فهذا ما يسوء « ناقداً » عربياً في مجلة « المسرح » حتى ليقول : « اخطر شيء ان يتسلل الى عقول الناس هذا الخدر ، هذا الوهم اللذيذ الساحر ، ان يتحقق الانتصار على الورق (على المسرح) لا على ارض الواقع الصلبة » ولكنه امر طبيعي ، على ما نتقصد ، من كاتب لا « يريد » ان يرى ما يجري على ارض الواقع الصلبة .

والحقيقة ، « مبالغة أسطورية » ، وينكر أن يكون للشعب فسي الارض المحتلة حتى فضيلة المقاومة ، ثم هو يلقي رسالة الادب في ان يبشر ويمهد للعمل والتغيير . ولا نحسب هذا « تفردا » في الرؤية الادبية والفنية ، بل هو قصور عن ادراك جوهر الادب والفن بصورة عامة .

وقارئ مقال (الناقد) لا يصعب عليه ، بعد ذلك ، ان يتبين فيه روح الذاتية ، الانفعالية والنزوات الصغيرة والنيات المبينة ، وهي اخطر عاهات تصيب ناقدا من النقاد ، لانها لا تدخل في التقييم الحقيقي للآثر ، وإنما هي عنصر خارجي يقحم افحاما على المقاييس الفنية الجادة . وقد كنت اوثر ان اعفي القارئ من التذليل على هذه الروح في مقال الكاتب ، لولا ان ذلك يلقي ضوءا كاشفا على ما يعنيه هذا « النقد » من تهافت واسفاف .

فهو يبدأ المقال بالتحدث عن ما يسميه « الحفاوة » الخاصة التي لقيتها المسرحية : فقد أجازتها مؤسسة المسرح ، ووافقت على ان تخرج في جولة الى العواصم العربية . وقد ختم مقاله بقوله : « أي جدوى في ان نعرضها على الجماهير في العواصم العربية المختلفة » وفي هذا الكلام روح غرور وادعاء عجيبين ! ان « الناقد » الفذ لا يسمح لنفسه حتى بالشك في مقاييسه الفنية والادبية ، بل يشك في « نزاهة » أعضاء لجنة قراءة النصوص ، وكلهم من الادباء المشهود لهم . ويستنكر قرار مؤسسة المسرح بايفاد الفرقة الى العواصم العربية ، منتقدا رأي الوزير المختص الذي هنا أعضاء الفرقة وعبر عن اعجابه واعتزاز وزارته بهذا « العمل الكبير » على حد قوله ، الذي يمجّد بطولة الفدائيين ، مستخفا بموافقة وزارات الارشاد والانباء في الكويت والعراق والاردن على تقديم هذه المسرحية . . . انسا طبعا لا نحرم الكاتب حقه في الادلاء ، برأيه ولكن ليسمح لنا ان نطلب منه ان يشك قليلا في ذوقه الخاص وفهمه الذاتي !

ثم أنه حافد على « الاهتمام الكبير الذي لقيه نص المسرحية ، فنشر مرتين خلال شهر واحد : مرة في مجلة « الاداب » واخرى في سلسلة مسرحيات عربية » والحقيقة ان النص لم ينشر في شهر واحد ، بل ان النص الاول قد نشر في عدد « الاداب » الذي صدر في آخر فبراير ، ونشر النص الثاني في سلسلة « مسرحيات عربية » في آخر ابريل . والمهم في الامر ان النص المنشور في السلسلة يختلف اختلافا واضحا عن النص الاول ، وفيه تعديلات هامة اجراها المؤلف حين بدأ الممثلون التدريب على المسرحية . فما العجيب في الامر ؟ ألم يسبق لمسرحية نشرت في المجلة التي يتولى « الناقد » سكرتيرية تحريرها ان نشرت بعد ذلك في كتاب ، حتى ولو لم نظراً عليها تعديلات (فكيف اذا اجريت فيها تعديلات ورؤي ان من المناسب اعادة نشرها) ؟ وهل يكون نشر مسرحية في اوان عرضها امتيازاً هائلا لم تحظ به الا مسرحية « زهرة من دم » ؟ أم ان الناقد ، اخيرا ، مستاء اصلا من ان ينشر لكاتب «لبناني» في دار « مصرية » ، وهو بذلك ينضم الى آخرين من اولئك الذين تحركهم روح اقليمية بشعة لا بد من القضاء عليها ؟ (1) .

ويقول « الناقد » : « ودشت المسرحية - فكربا وفنيا - في عدد من متواليين من الاداب » . وواضحة روح الحقد التي تكمن في استعمال كلمة « دشت » . . . ولعل الكاتب كان يريد ناقدا ادبيا يتحدث عن مسرح المقاومة العربي ان يسقط من حسابه هذه المسرحية ، لمجرد ان لسيادته رأيا سلبيا في المسرحية . ثم لعله كان يريد

(1) لا بأس هنا من الإشارة الى قول « الناقد » الذي اوردها من قبل : « فكم قلنا عن الوحدة العربية وكم زدنا . . . ولكن هذا كله لم يجدنا شيئا » فان فيه روحا من عدم الايمان بالوحدة العربية ، وبالتالي من الروح الاقليمية المتفوقمة . .

ناقدا آخر ان يمنع عن توضيح دلالات المسرحية بعد ان قرأها . . . والحق انه لو تم « للناقد » ما أراد ، لما أتيج للقارئ العربي ان يقارن بين كلام سطحي متهافت كتبه فاروق عبدالقادر . وبين محاولة للفهم والتحليل الموضوعيين كتبها سامي خشبة وفوزي فهمي . . . وما دام « الناقد » قد ذكر ان المسرحية لم يتناولها كاتب جاد الا امير اسكندر في « الجمهورية » ، فقد كان ينبغي له ، استكمالا للحقيقة ، الا ينسى ان الدكتور شكري عياد ، وهو استاذهم جميعا ، قد تناولها كذلك ، وان وصف الجدية والعمق ينطبق على رأيه اكثر مما ينطبق على كلام « الناقد » وكلام صديقه امير اسكندر !

ان هذه النزعة الذاتية ، المناقضة للروح الموضوعية ، هي التي تملئ على « الناقد » تشويه الحقائق والوقائع ، وتجعله يقع في اخطاء ومغالطات من اليسير كشفها للقارئ . من ذلك مثلا وصفه لمجموعات قصصي الاولى بأنها « تتخذ من المرأة موضوعا لها ، المرأة من حيث هي فريسة وهدف للطرده ، كلهن نساء ، كلهن خائنات وخاطنات الخ . . » وحسب القارئ ان يعود الى هذه المجموعات ويستعرض قصصها ليحكم بان كلام « الناقد » يشكل تضليلا كبيرا . ومثل ذلك قوله ان الوجه المهموم بالقضايا العربية عند سهيل ادريس لا يبدأ في مطالعتنا الا في اعماله الاخيرة : رواية « اصابعنا التي تحترق » ومجموعته « رحماك يادمشق » . . فهذا ايضا تزيف للواقع . فانا اعتر بان اهتمامي بالقضايا العربية (على ان يكون فهما رحبا وعميقا معني « القضية ») يرجع الى اول عهدي بكتابة القصص . فلك المجموعات الثلاث (التي هي اعمالى الاولى ولا اكرر انها ضعيفة فنيا) تضم عدة اقصيص قومية واجتماعية . ومن العجيب الا يكشف الكاتب المحقق المدقق اي هم قومي او انشغال « بالقضايا العربية » في روايتي الاولى « الحي اللاتيني » . . فلئن كان مصرا على ان لا « يفهم » تلك الرواية ايضا ، فقد كان عليه ان يراجع ما كتبه ، عن هذا الجانب منها ، اسانذته من النقاد المصريين على الاقل !

ومثل اخير من امثال الحقد الذي يفضح به مقال الكاتب هو قوله عن اعمالى الاخيرة انها أكدت عنده ان الكاتب القديم قد انشغل بنشر الادب عن كتابته « وهذا حكم « خارجي » لا علاقة له بالتقييم الفني الحقيقي ، فليس مطلوبا من الناقد الجاد ان يبحث عن سبب اخفاق كاتب في اثر ادبي كتبه ، اذا كان هذا السبب غير متعلق بجوهر ادبه . ومع ذلك ، فانا أقول اني مهتم بنشر الادب بولكني احاول الا يطفى ذلك عندي على كتابة الادب ، وهو حتى الآن - على الاقل لم يستطع ان يحول بيني وبين الكتابة . وقد حاولت ان اعرض لهذه الازمة التي اعيشها في روايتي « اصابعنا التي تحترق » وان أحلل بواعثها ، دون ان انتظر من « الناقد » ان يشير اليها بوقد كان اجدر به ، لو أنه موضوعي وجاد ، الا يواجه الامة بهذه الروح ، بل أن يبحث بظل من التفهم والادراك . ان نشر الادب ، في رأبي ، مهمة نبيلة ، وأنا اسمى الى تادية رسالة في ذلك . فان الادباء ولا سيما في الجمهورية العربية المتحدة ، يعرفون ان كثيرا من هذه الكتب غير رانجة تجاريا ، ولكنها هامة في تسجيل تحولات واضحة في مجرى الادب العربي الحديث . وأنا أؤكد « للناقد » ان كثيرا من ادباء الشباب حريصون على بقاء « دار الاداب » ليستطيعوا ان ينشروا فيها نتاجهم . وأرجو ان أوفق في الجمع بين الامرين ، ولم يثبت ، حتى هذه اللحظة على الاقل . اني اخفقت في ذلك . انني أأمل ان اظل قادرا على الانتاج ، ولو ساء ذلك بعض الحاقدين الحاسدين !

واما السطحية وعدم الفهم لدى « الناقد » فيظهران جليا في تلخيصه للمسرحية . والواقع ان مبدأ تلخيص المسرحيات (وكل أشر فني آخر) مبدأ عقيم في ذاته . فالتلخيص الذي يكتفي بايجاز الاحداث ، ويسقط كل المدلولات والرموز ، وبهمل الوشائج التي يبين

الوقائع ، ويقضي على « الجو » الاثري الذي تخلقه الحركة المسرحية - وهذا هو شأن التلخيص الذي قدمه « الناقد » هنا - لا يمكن الا ان يشوه النص ابعد حدود التشويه .

لقد اكتفى صاحبنا بسرد « قصة » المسرحية . اي حبكة ، معلقا عليها ، في اثناء السرد ، ببعض علامات التعجب دلالة على السخرية والاستهزاء . فاذا تاب الجاسوس علق « الناقد » بعلامة تعجب (!) . واذا كان فتحي نشالا تعجب « الناقد » (!) والواقع ان « الدهشة » التي تعتبر سرا من اسرار الكشف والابداع في الخلق الادبي ، تصبح لدى كاتبنا نوعا من التسطح والسذاجة .

انه ، بعد ان يلخص الفصل الاول تلخيصا باردا . يتساءل : « هل اضعنا وقتا طويلا في التعرف على الشخصيات ؟ لكنهم اضاعوا الفصل الاول كله يقدمون انفسهم لنا . . » وهو بذلك يشوه الفصل الاول تشويها فظيحا ، لان هذا الفصل « يفرش » القضية كلها ، عبر ارتدادات وتداعيات . خلال حديث عن الطعام والمرأة والماضي ووقائع المقاومة ، ثم يطرح الحبكة باستسلام زياد ويوتر الحركة كلها تمهيدا للفصلين الآخرين .

وبعد ان يتحدث عن فادية يقول : « هذه هي فادية حين يحاول المؤلف ان يرفعها الى مستوى الرمز ! ويعتقد « ناقدنا » العفري انه ادى واجبه وقام بقسطه من النقد حين اكتفى بوضع علامة التعجب هذه ، معتقدا ان ذلك يعفيه من التحليل ، وحتى المناقشة .

ويصف « الناقد » الضابط الاسرائيلي بأنه « منهار ، جبان ، خائف » وهذا تزييف لحالة الضابط ، صحيح انه قلق ، ولكنه ، كما صورته ، ليس منهارا ، ولا جبانا ، بل هو صلب ، مؤمن بقضيتته ، مدافع عنها ، وهو يحاول ان يقنع راشيل بعدالتها ، دون ان يمنعه ذلك من ان يشكو الشعب والارهاق . ان هذه « الظلال » هي التي تكسب الضابط « بشريته » ولا أقول « انسانيته » ، كما هو بشري ان يحس الفدائي بالقلق ، وان يخشى الموت . لقد كنت حريصا على تصوير الابطال تصويرا بشريا يتفق والذبذبات النفسية التي يعيشها الانسان المعاصر ، فاقبل « الناقد » يشوهم كما يشاء و« يصنفهم » في فئات حاسمة الطبائع .

ونرى « الناقد » ينكر على زياد (بعلامة التعجب نفسها التي يريد ان يحملها روح السخرية) ان « يناقش » الضابط الاسرائيلي حول شرعية قيام اسرائيل ، وان يؤكد له انها قامت على الخداع والكذب ! وقد عرفنا الآن ان « الناقد » يشكك بالعمل الفدائي ، وبدوافعه ، وبنيتجه ، فليس غريبا ان يضع ايمان الفدائي بزيف اسرائيل موضع الشك .

وعلى قول زياد موجهها كلامه للضابط : « اننا نعرفها شفقتكم ، شفقة دير ياسين وكفر قاسم ، ونعرفها مساعدتكم ، مساعدة وكالة الفوت والامم المتحدة » يعلق الكاتب قائلا : يمكنك طبعا ان تسنم في هذا الحوار الى ما لا نهاية . فقد انتهى الامر من زمان . لم نعد امام عمل فني على الاطلاق .

ونحن نسأله : متى « انتهى الامر » ، ومتى كان قد بدأ ، ومتى بدأ ، في رأيه « العمل الفني » حتى أنه لم يصد الآن امام مثل هذا العمل ، وما هو مفهومه للعمل الفني . واين هي مناطق « الفنية » واين مناطق « اللافتية » ، وما هي معاييرها ؟ ان صاحبنا يكتفي بعلامة التعجب التي لا يمكن ان تكشف الا عن عجز مخيف وتصورفي التعبير والتحليل لا يمكن للصمت ان يكون علاجا لهما .

وتعليقا على اغراء الضابط راشيل زياد ، يقول الكاتب ان هذا « مقرف » (عفو حساسيته الرفيعة المرهفة !) ثم يقول : « مرة اخرى هذا الكليشه المقرف : ان رجال الاسرائيليين قوادون وناؤهم عاهرات »

وأنه لعجيب هذا الاصرار من « الناقد » على ان ينزه العدو الصهيوني عن كل نقیصة ، وهم مشهورون بهذه النقائص . ليست هناك مؤلفات كثيرة عن اساليب الصهيونية الاغرائية للوصول الى اهدافها ؟ الم نسمع ونقرأ كثيرا عن موقف مندوبين في الامم المتحدة غيروا آراءهم في اللحظة الاخيرة ، وحين كشف النقاب تبين ان اغراء المرأة الصهيونية لم يكن بعيدا عن ذلك ؟ اليس « الناقد » هو وحده من يشوه الواقع حين يريد ان يقنعنا باننا نخطيء اذا صورنا العدو على حقيقته ، وأن من الافضل ، حين يكون هذا العدو غير ذي خلق ، ان نجعله ذا خلق ؟ اليس هذا هو التعسف بعينه ! او لا يتعسف سيادته ان التخرج من تصوير العدو على حقيقته وواقعه ، خوفا من ان تنهم بما يظنه « العنصرية » ، فسيفضي تدريجيا على ايماننا كله بمعدالة قضيتنا ، لانه سيحملنا على التساؤل : لماذا نحارب هذا العدو اذا لم يكن ظالما ومقتصبا يستعمل مختلف الاساليب الدنيئة لسلبنا ارضنا وحقوقنا ؟

وحين يتناول الكاتب فادية يقول : « هذه التي يقول لنا المؤلف انها من اسرة عريقة في المقاومة ، ابنة واحد من ثوار ١٩٣٦ واخت قائده من فدائيي ١٩٦٧ يغمى عليها وتسلم للاغتصاب كشاة ضعيفة لا حول لها ، كأنها تريد هذا الاغتصاب وتتمناه » .

ونجيب قائلين : أين الغرابة في ان يغمى على فتاة ترى دم خطيها ، فتظن انه قتل فيما هي تسمع ان اخاها الذي جاءت تطالب به يعذب ؟ ايكني ان تكون ابنة احد الثوار واخت احد الفدائيين حتى تكف عن ان تكون « بشرية » ؟ اليس عدم تأثرها بما ترى هو « الزيف البطولي » الذي يزعم « الناقد » انه سمة شخصيات المسرحية ؟ اما قوله : « وتسلم للاغتصاب كشاة ضعيفة لا حول لها ، كأنها تريد هذا الاغتصاب وتتمناه » فيتناقض مع كونها قد اغمى عليها . فان من يصاب بالاغماء لا يملك ان يريد او لا يريد .

ويحاول الكاتب بعد ذلك ان يشرح تصرف فادية فيقول : « انها من اجل زياد قررت ان تبحث عن دور لها تؤديه ، ومن اجل زياد أيضا جرح هشام . ومن اجل اغتصاب فادية - في النهاية - قتل فتحي ونزيه . كلها شخصيات عاجزة عن تجاوز ذواتها ، قاصرة عن ادراك الابعاد الحقيقية للعمل الفدائي » .

ويتضح من هذا الكلام ان الكاتب لم يفهم المسرحية ، ويصر على ان لا يفهمها ، بالرغم من وضوحها . انه لا يفهم ان « التضحية » هي المحور الاساسي الذي تقوم عليه الفكرة والحدث ، ايماننا من المؤلف بان الذي اضاع فلسطين هو عدم بذل القدر الكافي من التضحيات لانقاذ الارض . لقد قال نزيه ، المنظر الثوري للفدائيين : « كنا في الماضي نتحدث طويلا عن وجوب التضحية . فاذا استحق اداؤها تراجعنا . اما اليوم ، فلا بد من اداء الدين والانقطاع عن الكلام » ولذلك فان كلا من الابطال يضحي . على نحو ما ، من اجل تحرير هذه الارض التي هي « العرض » الحقيقي للانسان ، فليس ثمة عرض ولا شرف لمن فقد أرضه ، ويوم يسترد المرء الارض السليبة ، يسترد عرضه .

نقول ان الكاتب لم يفهم معنى المسرحية ، الذي يفهمه جميع من تناولوها ، حين يقول ان شخصياتها عاجزة عن تجاوز ذواتها . فاذا كانت التضحية بالنفس قصورا وعجزا عن تجاوز الذات ، فكيف يكون تجاوز الذات ؟ وما هي الابعاد الحقيقية للعمل الفدائي في رأي الكاتب ؟ انكون غير تحرير الارض وما يتطلبه هذا التحرير من قتل العدو وبذل الروح . ام ان لديه « فلسفة » اخرى للمعمل الفدائي ؟

واخيرا يلخص الكاتب الفاضل رأيه . فيرى ان « المسرحية تقول : ان العرب اشراف ومناضلون وعظام ، ورتوا البطولة ابا عن

جد ، ونقول له ان المسرحية لا تقول هذا الكلام ، ولكنها لا تقول كذلك ما يريد ان يقوله هو من ان العرب ليسوا اشراقا ولا مناضلين ولا عظاما وانه لا جدوى من مقاومتهم وانه لا ينبغي ان يصدقوا ان الاسرائيليين مفتضون لؤما ، بلا خلق .. ويرى ان المسرحية تقول : ((ان رجال العدو جناء ومهارون قوادون بلا خلق ، ونساؤه عاهرات يتجرن بأجسادهن)) فنقول له ان المسرحية لا تقول هذا الكلام ، ولكنها لا تقول كذلك ما يريد ان يقوله هو من ان الاسرائيليين قوم ذوو اخلاق لا يلجأون الى آية وسائل دنيئة ، وان كل ما يقوله كثيرون عنهم ، ومنهم فان هورن ، محض كذب واختلاق ..

ويريد الكاتب ان يقرر ان قضيتنا مع اسرائيل ليست قضية عنصرية . ولو وقف لحظة عند الحوار الذي يجري بين الجنود الاسرائيليين والفدائيين العرب (والذي رأى المخرج ان يفتح به المسرحية زيادة في الدلالة على دحض تهمة العنصرية) لرأى اننا نقرر قبله هذه الحقيقة البسيطة .. اما ان يفهم من قول احد الفدائيين « ان الدم العربي لا يفسد ، انه « عنصرية جديدة » ففهم ساذج قاصر ، لانه يقف عند مدلول كلمة « الدم » على انه سائل أحمر يجري في العروق .. ولو راجع الموقف الذي يوحى للجاسوس بهذا القول ، فسيذكر ان المقصود به هو مدلول القيم والاخلاق والمثل التي يثبت التاريخ ان العرب كانوا اغنياء بها اكثر مما يظن الكاتب الذي اصبحنا نعتقد ، مما يقول ، انه لا يخلو من نزعة شعوبية .

ويرى الكاتب ان المسرحية تقول عن رجال المقاومة « انهم من رجال البورجوازية الفلسطينية سلالة الوجاهات التقليدية التي تقود المهندس الذي يعمل في المانيا وطالب الطب الذي يدرس في بيروت .. اما امهر القناصة فيقوم بنور نشال قديم . » ونحن نقول ان في رجال المقاومة بعض ممثلي هذه البورجوازية ، الى جانب مدرس لبناني وفلاح فلسطيني هو الياس (تساءل الكاتب ذات لحظة عن هويته التي كانت اصفى من عين الديك !) ولكن هذا هو الواقع اليوم ، فليس الفدائيون من البروليتاريا فقط . ولا يضير المقاومة في شيء ان ينضم اليها بعض البرجوازيين المتبردين على وضعهم ، حتى ولو عاودتهم احيانا بعض روااسب هذا الوضع ، الا ان يكون النضال عنده يجب ان يكون قاصرا على طبقة معينة . ولو اتيج « للناقد » ان يزور الفدائيين في معسكراتهم لشاهد نماذج كثيرة من هؤلاء المهندسين والاطباء والثقيفين الذين يريدون ان ينصهروا في العمل الفدائي ليعيشوا حياة جديدة غير مفروضة عليهم من طبقتهم (وهذا ما يشير اليه هشام في الفصل الاول لو اراد « الناقد » ان يفهم ، لا ان يستهزئ فحسب !) وهل يضير المقاومة بعد ذلك ان ينضم اليها حتى النشالون والخاطئون ؟ اليسست مواجهة الموت من أجل قضية شريفة هي « المظهر » الحقيقي لهؤلاء كما يقول فتحي « النشال » ؟ اوليس اعتراض « الناقد » على هوية هؤلاء الابطال دليلا على مفهوم ضبابي مثالي مانع عاجز كل العجز عن ادراك المعنى الحقيقي للمقاومة في سبيل تحرير الارض ؟

ويأخذ الكاتب اخيرا على ابطال المسرحية ان ينسوا ان يراقبوا الطريق .. اي انه يأخذ عليهم ان يخطئوا ، كان هؤلاء « البشر » معصومون عن الخطأ .. وقد لام الفدائيون انفسهم على ذلك ، غير ان أم نزيه واجهتهم بقولها : « يا ولادي ، لا تحملوا ضمائركم اكثر مما تحتمل . اخطئوا واصلحوا اخطاءكم » وواضح من هذا اني « قصدت قصدا » الى جعل الفدائيين يخطئون ، لاشير الى امكانية الوقوع في الخطأ . وبالتالي امكانية تصحيح الاخطاء ، حتى ولو ادت الى كوارث . ألم تقع اخطاء كثيرة في حرب حزيران ادت الى هزيمة مريضة للعرب ، وتقوم الآن محاولات جادة لمدم الوقوع ثانية في

مثلها ؟ فهل نستبعد عن الفدائيين ان يرتكبوا مثل هذا الخطأ حين يذهبون الى بيت احدهم وقد أخذ الجوع منهم كل مأخذ ، وحس احدهم الى لقاء خطيبته فجامله اخوها (وهذا ايضا ضعف بشري) بالاستجابة لرغبته ؟ اليس مأخذ الكاتب هنا دليلا آخر على مفهوم مثالي للعمل الفدائي يعصمه من اخطاء التجربة ، بينما العمل الفدائي في حقيقته اوفر الاعمال تعرضا للخطأ لانه قائم على روح التضحية والبسندل والجاذفة ؟

وبعد . فلست من الذين يعتقدون بان النقد فن طفيلي ، بل اني اراه رسالة نبيلة في ايدي المخلصين الواعين الموضوعيين . ولكن « النقد » الذي حاولت في هذه المقالة ان اتناقشه هو نموذج لما يسمى الفن الطفيلي الذي يعيش عالة على الادب الخلاق .

ولقد كنت ارجو ان اتعلم شيئا من نقد فاروق عبدالقادر، لانني بحاجة الى الاستعادة من ملاحظات النقاد النزهاء المتعمقين . ان هذا اول عمل مسرحي اواجه به الجمهور : ولكن يبدو الآن ان ما سوف اتعلمه من الجمهور قد يكون هو العلم الحقيقي . واحسبان الجمهور قد احب « زهرة من دم » واستجاب لها . لا بفضل المؤلف ، بل بفضل ايمان صادق لا تشوبه شائبة بجسدي العمل الفدائي ، وبان هؤلاء الابطال يملكون على الاقل فضيلة ان يموتوا لتحرير ارضهم من ريقة المحتل الفاصب ، هذا المحتل الذي يعرفون انه قوي ، بطاش ، مخيف ، ولكنهم يعرفون كذلك انه لا يتورع عن اي اسلوب دنسيه لابقائهم تحت سيطرته والقضاء على مقاومتهم البطولية الشريفة .

سهيل ادريس

بيروت

مصادر الخلل في المرصد العراقي

بقلم غالي شكري

ربما لا اكون مبالغا اذا قلت ان احدا في تاريخنا الادبي الحديث لم ينجم من تهمة السرقة ، سواء في الفن الاخلاق او النقد الادبي ، من طه حسين وتوفيق الحكيم الى نجيب محفوظ ومحمد مندور وعبدالرحمن الشراوي ولويس عوض وغيرهم من عشرات الاسماء الالامعة في حياتنا الادبية المعاصرة . لذلك فان كلمة « الراصد العراقي » المنشورة بالعدد الماضي من الادب لم تكن اكثر من دليل على ان هذا المرض اللعين - التراشق بحجارة الالفاظ بدافع احتقاد

المكتبة الوطنية وفروعها

البحرين - الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وادوات مدرسية
اطلبوا منها

مجلة « الاداب » ومنشورات « دار الاداب »

اديب الحياة

- تمة المنشور على الصفحة ١٢ -

نعمة اننا لو كانت لكل منا الحرية والسلطان ان يطبق على الطبيعة مقياسه الخاصة في الحق والخير والجمال ، لبدأننا بابادة الحشرات التي تزعجتنا جميعا فقتلنا البرغش والدود وانتهت بنا هذه المجزرة - والعياذ بالله ، - الى افناء جميع من يخالفنا في الرأي، كلا يا سيدي، الاستاذ ، والذين يسوون بين النظرة الى الطبيعة والنظرة الى البشر هم الذين يتورطون في هذا المنطق ، ولتسمح لي انه مضحك ، فنحن لا نقتل البرغش والدود وسائر الحشرات لان ذلك شيء متصل بالصراع حول الحق والخير والجمال ، او لان هذه الحشرات ترى رأيا تخالفنا فيه .

اجدني ملفيا فيما استدلتك به من فحواي القول ميسما دامفا دالا على فن الابتسام الذي يحذقه المرحوم رثيف خوري ويجود في نسجه لحد البراعة والابداع على غرار استاذ الفاخوري .

وما الذي يبقى مما ترسم فيه الاستاذ رثيف خوري سليقة الفاخوري وتعلمه منه وظل وفيه له ، هل هو غير حب الطبيعة اللبنانية والنغني بمباهجها ، والتوق لاقامة حكم ديمقراطي في لبنان الوطن يمارس فيه لبنان الشعب حرياته ويبي حقوقه وواجباته ، حكم يجهز على انصاب الفرقة والطائفة ويطوح بأعمدة الحسوية والوصولية والنفسية ، ولا تسمح على التابع في ظلاله أنف متبوع او ينقسم الناس فيه بين سيد ومسود ، حكم تتعهد السلطة القائمة فيه بالتعاون مع بقية الاقطار العربية الاخرى لترسيخ مقومات القومية العربية والتطلع ليوم تتوحد فيه هاته الاقطار اذا اجتمعت كلمة الامة وصح عزم ابنائها ، فلبنان ليس اقليما منفردا ، ولا هو جزء من اوروبا في مظاهر عيشه ومعالم نهضته ومصادر ثقافته ابناؤه ، انما هو جزء من هذا الوطن الكبير الذي شاء الفاخوري ذات يوم ان ينعت فكرة تحوله او عودته الى امبراطورية (رجاء متضخما) .

لذا لم ين صاحب (الفكر العربي الحديث) عن المساهمة في ميدان القضية الوطنية والانتصار لقضايا الشعوب المكافحة والانتصاف للمفلين السودين من ظالمهم ومسترقفيهم ، جاعلا من قلمه سيفا مسلطا على الظلم في كل مكان يسفسه مدعياتهم ويزري بتعلاتهم ، وينصب بالتقريع على حكام الدول الاستعمارية لتدخلهم في شؤون الدول الاخرى بصورة مباشرة او بواسطة صنائعهم واجرائهم من ابنائها او المحسوبين عليها ممن يرعون مصالح اسيادهم ويفرطون بمصالح شعوبهم ، فكان من اولاء الذين لا تعوزهم المهارة والالتقان في كتابة المقالة السياسية الموسومة بفتوة المنطق وسداد الحجج وعمق الفكر وصرامة الحق ، السى جانب اغتنائها بعنصر العاطفة الفائرة والاخلاص المتين والرغبة الجادة الحازمة في التنوير وضاءة معالم الطريق .

وما عسى بعد ان اقول في اعقاب هذا الفياح الحزين وانطواء سفر جهاد العظيم ، في ظرف ، كل ما فيه ، ينبي بالانسحاق وحس الفجعية ، فهذه الامة مرزاة اليوم في صلب تطلعاتها واطماحها المشروعة الى الانعتاق والتحرر ، مدفوعة بما تقاذفها به - اسياذ الاستعمار ، في دول العالم الحر ! ، من التهمس والحيث واستباحة ترابة ديارها المقدسة ، وكان رثيف خوري من ابرز ابنائها الجاهدين النازعين للالواء بها عن الركون للياس وصرافها عن الاستسلام والاحلاف عليها بالتعلق بالامل والتطلع لانجلاء غاشية الاستعمار ، على غرار ما تنزع صوبه بقية الشعوب المغلوبة في رحاب العمورة ، هل غير ان الحزن يعصر النفس ويمرس الفؤاد والعزم اقصر واوهن عن دفع رزية واستتبار مكروه .

شخصية - قد بات سرطانا يستعصى على العلاج . ولو كانت لدى الراصد الهمام ذرة من الشجاعة الاخلاقية لما تردد لحظة في التوقيع باسمه اذا لم يكن ذبلا لاحد ، ولما تردد في نشر كلماته المتهافنة بنفس المنبر الذي نشر مقالتي ، وهو مجلة محترمة تصدر في العراق باسم « الشعير ٦٩ » تشرف على تحريرها مجموعة جادة من الابداء الطليعيين من الشباب العراقي .

على اية حال من حق القارئ ، للاداب او للشعر ٦٩ ، ان يعرف الحقيقة . وهي ان مقالتي « صورة البطولة في شعر المقاومة » ليس الا فصلا في كتاب لي عنوانه « ادب المقاومة » . وقد اتبعت منهجا موحدا في جميع فصوله بالنسبة للمراجع ، وهي ان اکتفي بذكر المؤلف او كتابه في صميم البحث مرجعا التفاصيل الجيولوجرافية الى القسم الخاص بها في نهاية الكتاب . اي انني اخلت الهوامش السفلية تماما على طول صفحات الكتاب ، وخصصت خاتمة لكافة الاستشهادات والاشارات وتفاصيل المراجع الرئيسية والثانوية على السواء .

ولقد اخلت المرصد العراقي فلم ير الا مرجعا واحدا من بين المراجع التي ذكرتها في صميم البحث وهو مجلة الادب الافريقي الآسيوي ، بينما هو يستطيع ان يرى لو عالج الانفصال الشبكي في عينه النقدية والاخلاقية انني ذكرت اسماء النقاد « مالكوكمكولي » و« بيترودوس » و« كلود روا » وهي الاسماء التي نقل آثارها للعربية عبدالوهاب البياتي واحمد مرسى . . بالاضافة الى ما تمت باختياره من قصائد مترجمة باقلام أحمد سليمان أحمد وميشال سليمان من الذين ذكرهم المرصد المختل ، ومن لم يذكرهم - لاسباب في نفس يعقوب ! - من امثال ماهر عسل وابو بكر سيف وفؤاد حداد وصلاح عبدالصبور وماهر البطوطي (وهم من خيرة المترجمين المصريين) ذلك انني لا اعتمد اذا كان النص مترجما على ترجمة واحدة له ، بل اقرن بينه وبين مختلف الترجمات وبينه وبين الاصل في وقت واحد . . حتى يخرج النموذج المنبسط في اقرب الصور الممكنة الى الاصل المنقولة عنه . ولما كان من المستحيل ان احشد اسماء المترجمين في صميم البحث ، فقد اجلت ذلك الى خاتمة الكتاب الذي سيصدر في القريب ويقراه من يشاء .

ولكن الكذبة تقود الى اكاذيب ، ويصيب الخلل الاخلاقي المرصد العراقي من كل جانب . . فالتقصائد الفيتنامية بالذات قمت شخصيا بترجمتها ضمن كتاب عن ادب المقاومة في فيتنام عنوانه الحرفي « الادب وحركة التحرر الوطني في جنوب فيتنام » وليس صحيحا على الاطلاق ان هناك ترجمة اخرى لهذه القصائد .

ولو لم يكن المرصد العراقي مصابا بخلل اخلاقي مخيف لما غمز ولز بأشياء لا علاقة لها بموضوعه الرئيسي ، ولكنه بدافع من المرض السرطاني اللعين - التراشق بحجارة الالفاظ - بنى ديكورا من السباب والشتم والتشويهات .

لقد تعرض كاتب هذه السطور لعنف الحملات واكثرها ضراوة، ولكن ايمانه لم يهتز لحظة واحدة بان العمل الجاد والمخلص - مهما اختلف الناس في تقييمه - يكافئ صاحبه بأمن الجوائز، كهذا الحب الصادق والمودة العميقة اللذين لاقيتهما - على سبيل المثال - اثناء زيارتي للعراق . . وهي المشاعر التي تجعلني موقفا من ان « الراصد العراقي » لا يعبر الا عن نفسية مريضة مختلة قد تكون ذبلا لاحد وقد لا تكون ، ولكنها في جميع الاحوال ليست اكثر من فقاعة هواء .